الإعلام الموجه وملكة نمو الذات عند الطفل

د. رحيم محياوي

جامعة عنابة

إذا أردنا فهم الحياة ... لنتأمل براعم الأطفال وهي تقبح بالآمال، وإذا أردنا تأسيس مجتمعاتنا على أسس حضارية، فلنعد تأسيس علاقتنا مع الأطفال، وهذا لا يتم إلا بإعادة تقييم واقع الثقافة والحضارة الإسلامية العربية نحو تنشئة الثقافة المرجعية بوعي ومسوؤلية وتخطيط ... والسؤال الذي يطرح نفسه علينا ماذا نعني بمقولة صحافة الأطفال ؟.

إن صحافة الأطفال قد تعني الصحيفة الصادرة لهم، ولا حاجة بنا هنا إلي سرد تاريخ مجلات الأطفال عالميا، فنقول أنها بدأت في منتصف القرن الثامن عشر.

وإذا نظرنا إلي صحافة الأطفال على مستوى الوطن العربي الإسلامية لكشف لنا الحالة المزرية الإعلامية إن صح التعبير ... إنها "كما وكيفا" ولسنا نتحامل على ذلك ... وهي واحدة من الوسائل التي نعتمد عليها في تثقيف أبنائنا وبالتالي نجدها تحمل نزعات مختلفة الألوان والاتجاهات، وبالتالي نجد أنها قاصرة ومقصرة في أداء رسالتها وعدم ارتباطها بالواقع الحضاري التأصلي المرجعي الإسلامي العربي.

وقد يرجع ذلك إلي نقص الوعي الذاتي التأصلي بأهميتها ودورها في الحياة... ونجد وراء ذلك في الغالب دولة أو مؤسسة تتحمل أمانة الأجيال الصاعدة.

ومن هنا قد تشمل قضايا الساعة "السياسية" عددا كبيرا من كتب الأطفال حول ما يجري في الساحة الإقليمية والوطنية والدولية من متغيرات بطريق مباشر أو غير مباشر ...

وقد نجد قضايا الحرب والسلام تشغل حيزا كبيرا في كوكبهم "الأطفال" ومن بين القصص "السياسي" واحدة بعنوان : "من أجل الحرية" تحكي قصة طفل عمره خمس سنوات يترنم بأغنية كانت تترد أيام حضور الاستعمار ... ومنها يتعلم الطفل أن الحرية والوطنية في ظل الإسلام هما ساقا الحياة الإنسانية.

وقد جرت أحداث وقصص في جبال الأوراس وجرجرة والقصبة في قسنطينة والجزائر العاصمة وجل الوطن تتحدث عن الاستبداد والاستدمار الاستعماري الفرنسي، وتسرد بعضا من الظروف الاجتماعية المزرية للمجتمع والطفل الجزائري.

وما يجري اليوم في فلسطين المحتلة من عنصرية وتشريد وقتل وما تحمله القصص المروعة للأطفال وواقعهم المأساوي في المخيمات الفلسطينية، وما مخيم جنين إلا صورة للطفل الفلسطيني اليوم؟...

الإعلام وزرع القيم :

إن أجهزة الإعلام إذا ما أحسن استخدمها في موطنها الأصلي قد تؤدي دورها في ترشيد الأمة وتستطيع أن تغير من ظروفها وأن تأخذ بيدها لما هو أفضل وأحسن.

ولن يتأتى لها ذلك إلا إذا تبنت المنهج المرجعي للسواد الأعظم للمجتمع لبناء ذاتية الأجيال الجديدة الصاعدة.

وقد يرى بعض أساتذة العلوم السياسية وعلم النفس والتربية أن الطفل في احتياج إلي رعاية خاصة للأمور الأربعة :

1 ـ الصحة.

2 ـ العقل.

3 ـ القلب.

4 ـ اليد.

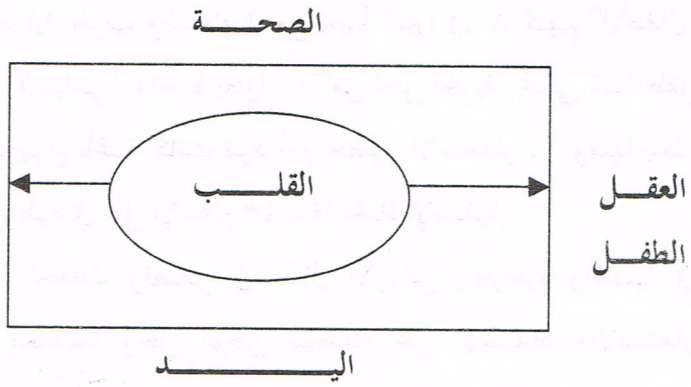

وفي تقديرنا أن هذا المربع التأصيلي قد يستوعب كل ما يحتاجه الطفل في نماء ذاتيته وشخصيته في عصرنا هذا، وعلى الشريحة المثقفة والإعلاميين والمربين والدولة أن يولوا هذه الأمور عناية خاصة من خلال الرعاية والثقافة الصحية والاهتمام بالعقل والفكر، أي بعالم الأشخاص والأفكار والأشياء بتعبير مالك بن نبي وذلك لمواجهة الحياة.

وثقافة الطفل في حد ذاتها محاطة بالبيت والمجتمع والمدرسة وأجهزة الإعلام وكلها تؤثر في الطفل تأثيرا كبيرا بل تعاد صنعه.

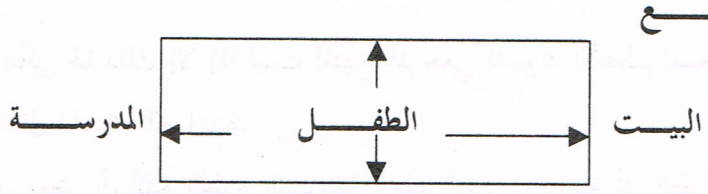

أجهزة الإعلام

وقد يحاول الطفل أن يحدث فجوات في أضلاع هذا المربع من أجل أن ينمو لكي يكوّن نفسه المتفردة وذاته الحقيقية وشخصيته المستقلة وأجهزة الإعلام في الواقع.. "مرجع آخر..."

أجهزة الإعلام المباشر "المجتمـــع":

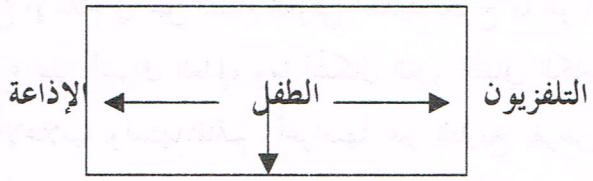

الصحافة والمجلات

وهذا المربع يلقي بظلاله على الطفل إيجابا وسلبا....

والحق أن الثقافة في تقديرنا هي حصيلة نماء فكرة الذات عند الطفل، وهي حصيلة الإعلام والتعليم والتربية والتوجيه والاستمتاع، والقيم الإنسانية في حد ذاتها مسؤولية مشتركة ما بين البيت والمدرسة والمجتمع وأجهزة الإعلام.

ومقولة العولمة MONDALISATION أو الكوكبة GLOBALISATION تعني حسب قاموس "وستري" "اكتساب الشيء طابع العالمية وجعل نطاقه وتطبيقه عالميا".

ولكن هذا المفهوم الموحي بالبراءة الإعلامية لا يلبث أن يكشف عن مخاطر كبيرة تقف وراءها قوى شرسة ترفع مصالحها فوق كل اعتبار وتنظر إلي العالم كله على أنه مساحة إعلامية مفتوحة أو ينبغي أن تكون مفتوحة أمامها، وتستخدم القوة لفرض تلك المصالح وما يرافقها ويتمخض عنها من تهديد على الآخرين.

فالعولمة تعني في المنظور الإعلامي "الأمركة" "الاستعمار"، بعد أن أصبح العالم محكوما بسياسة قطب وحيد الطرف بامتلاك التفوق في مجالات العلم والإعلام والمعلوماتية.

والعولمة بعد هذا كله أصبحت عمليا خطرا يهدد دولا وشعوبا وثقافات ومجتمعات ومصالح شرائح واسعة في العالم أخذت تزداد بؤسا ويأسا وانسحاقا.

إن موضوع الإعلام في ظل النظام العولمي الجديد يطرح ما هو أبعد بكثير من موضوع الصراع على أسواق العالم، وما أشكال الغزو الثقافي الكامن في قوة الأقوياء وبرامجهم الإعلامية واستهدافاتهم وأغراضها عبر التاريخ يفرض علينا في النتيجة أن نواجه الأسئلة القديمة والجديدة في الصراع بين الروح والمادة سواء على أرضية العقائد أو الفلسفات أو الأيديولوجيات، وتدعونا إلي تفحص تاريخ القوة المتغطرسة وبرامج الأقوياء إعلاميا وممارساتهم عبر التاريخ من المعاناة البشرية المتمثلة في الاستعمار القديم والجديد ...

إننا أمام أن نختار بين ما تدفع إليه الرغبة والغريزة وجاذبيات الشهوة وبين ما يقتضيه السمو الروحي والتماشي الخلقي ومتطلباتها بين القيم والمبادئ واستحقاقاتها وبين نوع من ذرائع الجسد المؤدية إلي تفسخ تلك القيم والمبادئ أو الخروج عليها والاستهانة بها وبمعاييرها والاستعاضة عن ذلك بمنظومات قيم أخرى منافية لأصالتنا ومبادئنا بين تباعية العقل والروح لحاجات الجسد المطلقة ونزوات الغريزة الجامحة وبين جعل الجسد في خدمة العقل والروح ولو أدى ذلك التعب في مواقف.

يقول أحد رواد الفكر والشعر :

وإذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الأجسام

ومن هنا يظهر لنا جليا اهتمام الإنسان بذاته وخلقه واختياره الواعي ضمن مرجعيته ووسائله الخاصة لواقعة المبدئي التكويني التاريخي ...